قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

البنى التقابلية مدخل جديد لتدارس خطاب المثل النبوي

Comparative structures a new approach to study of the proverbial speech in the prophetic Hadith

ميلود عرنيبة [1] *
[1] ثانوية الأمير مولاي رشيد، مديرية الصوية

Key words:

prophetic proverbs, reciprocal structures, comparative, interpretation.

Abstract

This research attempts to uncover the eloquence of the proverbial speech in the prophetic Hadith. The researcher has used a new approach is the Comparative Interpretation. This approach, developed by the Moroccan researcher Mohamed Bazzi within what he called the theory of Comparative interpretation. The researcher concluded that the style of prophetic proverb is a noble prophetic method with a reciprocal building, and that the method of Comparative interpretation is an important input in the analysis of the proverbial speech and capable of detonating a large number of meanings and meanings involved. And it called for trying this procedure in analyzing another speech because of its important results.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال : 2019-12-09
القبول : 2020-06-29

الكلمات المفتاحية:
المثل النبوي،
البنى التقابلية،
التأويل التقابلي.

ملخص

يحاول هذا البحث الكشف عن بلاغة خطاب المثل في الحديث النبوي، وقد استخدم صاحبه منهجا جديدا هو منهج التأويل التقابلي، هذا المنهج الذي استحدثه الباحث المغربي محمد بازي ضمن ما سماه بنظرية التأويل التقابلي، وهو منهج أخرج مكوّن التقابل من مفهومه البلاغي الضيق إلى مجال أوسع هو مجال التأويل بالتقابل. وخلص الباحث إلى أن أسلوب المثل أسلوب نبوي بليغ مبني بناء تقابليا، وأن منهج التأويل التقابلي يشكل مدخلا مهما في تحليل خطاب المثل، وقادر على تفجير كم هائل من الدلالات والمعاني التي تنطوي عليها بنيته العميقة، داعيا إلى تجريب هذا الإجراء في تحليل خطابات أخرى نظرا لنتائجه المهمة.

* Corresponding author at:
Email : molodarniba@gmail.com

المقدمة

اقتضت حكمة الباري، جل في علاه، أن يرسل كل رسول إلى قومه باللغة التي يتحدثونها وبالأساليب التي يصرّف بها بلاغاؤهم ضروب الكلام فيما بينهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1]، والغاية من ذلك، كما توضح الآية، غاية تواصلية بامتياز هي البيان. هكذا يحدثنا القرآن عن النبي شعيب الذي أوتي مفاتيح الخطابة، وعن إبراهيم الخليل الذي ملك زمام الجدال والمحاججة، وعن موسى الذي امتلك كفايات الحوار الفعال. وأما النبي محمد صلى الله عليه وسلم فبعثه الله بحجة لغوية- بلاغية بالدرجة الأولى في قوم غُذوا بلبان البلاغة والشعر، فآتاه الله جماع كل ما تفرق عند غيره من الأنبياء ومنتهاه في البلاغة والفصاحة والبيان. قال معدّدا فضل الله عليه: " فُضِلْتُ على الأنبياءِ بستٍ: أُعطيتُ جوامعَ الكلمِ ونُصِرْتُ بالرُّعبِ وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ وجُعِلت لي الأرضُ طَهورًا ومسجدًا وأُرسِلْتُ إلى الخَلقِ كافَّةً وخُتِم بي النَّبيُّونَ"[2]، وجوامع الكلم عبارة جامعة لصروف الكلام الموجز، القليل اللفظ الكثير المعاني، ممّا فضل الله به نبيّه من البلاغة والفصاحة، وبدائع الحكم ومحاسن العبارات ...

ومن الأساليب التبليغية التي اعتمدها صلى الله عليه وسلم في نشر رسالته الخاتمة ضرب المثل، وهو أسلوب راسخ في ثقافة الإنساني العربي، سابق على مجيء الإسلام، يشهد على ذلك قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[4]، فما كانوا ليضربوا الأمثال ويأتوا بها لولا معرفتهم السابقة بها، وشيوع ذلك في التخاطب بينهم. وإذ اتّضح أن المثل أسلوب عربي فصيح، كان يحتل مكانة بارزة في الفعل التواصلي، فقد أرشد الله تعالى نبيّه إلى توظيفه في تبليغ رسالته لقومه، وذلك بالنظر إلى ما تنطوي عليه بلاغة المثل من قدرة على البيان تأثيرا وإقناعا. وقد جاءت بعض الآيات واضحة في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باستعمال المثل أسلوبا دعويا، منها: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[5]. كما أن الله تعالى ضرب العديد من الأمثال في القرآن الكريم بصيغ مختلفة منها ما جاء بصيغة الفعل "ضَربَ"[6]، ومنها ما جاء بصيغة "مثلُ"[7]، ومنها ما جاء بصيغ أخرى.

فضرب المثل أسلوب تواصلي عربي فصيح يلجأ إليه مرسل الخطاب (الله تعالى في القرآن، والنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث، والبلغاء والدعاة في خطبهم،...) لما يمتلك من قدرة على إقناع العقل، وبما يمارس من تأثير وسحر على القلب؛ أي بما يحقق من إفهام عبر "قوة التصوير والتوصيف والتقريب"[8]. ولهذه الحكمة الظاهرة، ولحكم أخرى خفية، أكثر الله من ضرب الأمثال في القرآن، فقد أحصى بعضهم بضعا وأربعين مثلا في القرآن كله[9]؛ بل إن الله تعالى جعل الأمثال أحد أقسام كتابه الثلاثة، فقد قال الرسول الأعظم: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ آمِرًا، وَزَاجِرًا، وَسُنَّةً خَالِيَةً، وَمَثَلا مَضْرُوبًا"[10]. واستجابة لأمر ربه تعالى وظف النبي صلى الله عليه وسلم المثل في مخاطبته لقومه، لما في هذا الضرب من الكلام من قدرة على جذب انتباهي المتلقي وإيصال الفكرة بأبين وجه وأوضحه حتى تتمكن من النفوس وتؤثر فيها. وقد عدد الترمذي ما يقارب ثلاثين حديثا فيها مثل[11].

1. في معنى المثل

جاء في اللسان: "مِثل: كلمةُ تَسْوِيَة. يقال: هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهُه بمعنى، (...) والمِثْل: الشِّبْه (...) والمَثَلُ: الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه، وفي الصحاح: ما يُضرَب به من الأَمْثال . قال الجوهري: ومَثَلُ الشيء أَيضاً صفته (...) ويقال: تمثَّل فلانٌ ضرب مَثَلاً، وتَمَثَّلَ بالشيء ضربه مَثَلاً (...) وماثَلَ الشيءَ: شابهه (...) ومَثَّل له الشيءَ: صوَّره حتى كأَنه ينظر إليه"[12]. وذكر الميداني في مستهل كتابه مجمع الأمثال آراء بعض أهل اللغة والأدب والكلام، ومنها رأي المبرد الذي قال: "المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه. فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول، كقول كعب بن زهير:

كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً ♦♦♦ وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد[13].

ويعرف ابن قيم الجوزية(ت 751هـ) الأمثال بقوله إنها: "شبيهة شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر"[14]. ويوضّح أحد المفسرين السبب في اختيار فعل "الضرب" للمثل بقوله: "واختير له لفظ الضرب لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهبج الانفعال، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه"[15].

إن المتعن في هذه التعريفات للمثل يستطيع أن يكتشف بيسر البنية التقابلية فيه، فجميع التعريفات تقريبا تضم ثنائيات متقابلة تقيم علاقة مشابهة وقياس بين طرفين، وهي ثنائيات على النحو الآتي: مثل الشيء مقابل شبهه، مثل الشيء مقابل صورته، حال الأول مقابل حال الثاني، المعقول مقابل المحسوس، محسوس1 مقابل محسوس2...فالمثل بنية تقابلية يتقابل فيها عنصران أحدهما غائب أو متخيَّل أو مجرَّد، والثاني حاضر أو مشاهَد أو محسوس، ويؤكد أحد الباحثين المعاصرين الذي يعني بالتقابل هذا البعد التقابلي في البنية المثلية بقوله: "المثل أسلوب يتقابل فيه الممثَّل والممثل به زيادة في التوضيح والتقرير، لما له من وقع في القلب وتأثير في العقل، لأنه يقابل بين المتخيل والمحقق، والمعقول المحسوس"[16].

2. أغراض المثل

ومما لا شك فيه أن للمثل أغراضا وخصائص تتوفر فيه ولا تتوفر في غيره من ضروب الكلام الأخرى، ولذلك نال عناية

خاصة في مختلف الخطابات وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي أغراض ذات بعد تواصلي بالدرجة الأولى، هدفها الأساس التأثير في المتلقي وإقناعه بالقضية التي يريد مرسل الكلام تبليغها له. وقد حدد صاحب أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ثمانية أغراض لضرب الأمثال[17]، ، نوردها مختصرة على النحو الآتي:

- تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل؛

- الإقناع بفكرة معينة، وقد يصل حد الإقناع إقامة الحجة،

- الترغيب بالتزيين والتحسين، أو التنفير بكشف جوانب القبح؛

- إثارة محور الطمع أو الرغبة، أو محور الخوف والحذر لدى المخاطب؛

- المدح أو الذم، والتعظيم أو التحقير؛

- قيامه على شحذ ذهن المخاطب، وتحريك طاقته الفكرية، أو استرضاء ذكائه، لتوجيه عنايته، حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر؛

- تكثيف المعاني الكثيرة في لفظ قليل؛

- إيثار تغطية المقصود من العبارة بالمثل، تأدبا في اللفظ واستحياء.

والناظر في هذه الأغراض يجد أنها استقراء وتلخيص لجميع ما أورده القدامي بخصوص المثل، والتي سبق إلى تلخيصها إبراهيم النظام الذي حددها في أربع خصائص إذ قال: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية"[18].

وبالتمعن في هذه الأغراض، وفيما ورد في التعاريف أعلاه، نلاحظ بأن غايات المثل وأغراضه ترجع إلى محورين أساسيين؛ ذلك أن تحقيق الغاية منه والمقصود من ضربه للمخاطبين يتم عبر ثنائية الإمتاع والإقناع، فهو ينطوي على البعدين الجمالي الشعري والحجاجي الإقناعي، وإذا جمع الخطاب هاتين الخصيصتين معا كان جرسه إلى الآذان أسمع، ووقعه على القلب أكبر أثرا، وعلى العقل أقوى إقناعا.

هما، إذن، غايتان متلازمتان تنبّه إليهما بلغاء العرب منذ القديم، أولاهما هي الإقناع بفكرة معينة، عبر إقام الحجة والدليل، من خلال "شحذ ذهن المخاطب، وتحريك طاقته الفكرية، أو استرضاء ذكائه، لتوجيه عنايته، حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر"[19]، لأن ضرب المثل يستهدف الذهن فينقله من مستوى إلى آخر، عبر سلسلة من القياسات والمقابلات بين الممثَّل والممثل له، حتى تتجلى له الفكرة واضحة بيّنة وجلية ظاهرة، لا يجد أمامها غير الإذعان والتسليم. والغاية الثانية جمالية شعرية تستهدف التأثير عبر البنية التقابلية للمثل، ومعلوم أن المعاني المتقابلة تطرب الأسماع وتحرك النفوس إليها، كما أشار إلى ذلك حازم القرطاجني (ت684هـ) في قوله: "فإن للنفوس في تقارب المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام، لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد"[20].

وقد أدرك هذه الغاية المزدوجة إمام البلاغة ورائد الفصاحة العربية عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، فتحدث عنها في نص جامع نورده على طوله مع بعض الاختصار، يقول: "اعلم أنّ مما اتّفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو أُبرزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أُبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطّباع على أن تُعطيها محبة وشغفاً. فإن كان ذمّاً: كان مسه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أحد. وإن كان حجاجاً: كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر. وإن كان افتخاراً: كان شأوه أمدّ، وشرفه أجد ولسانه ألد. وإن كان اعتذاراً: كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسلّ، ولغَرْب الغضب أفلّ، وفي عُقد العقود أنفث، وحسن الرجوع أبعث. وإن كان وعظاً: كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر أن يجلى الغباية ويُبصّر الغاية، ويبريَ العليل، ويشفي الغليل."[21]

وبتحليلنا لهذا الكلام البليغ في الوصف للجرجاني، يمكن استخلاص مجموعة من القضايا أهمها:

- توظيف المثل يكون في سياقين؛ فإما أن يأتي في أعقاب المعاني، أي بعد ذكرها، وفي هذه الحالة يعززها ويزيدها إيضاحا وبيانا، وإما أن هذه المعاني تتم صياغتها ابتداء في شكل أمثال، وفي هذه الحالة تكون قدرتها على التأثير والنفاذ إلى القلوب والعقول مضاعفة.

- تأكيد البنية التقابلية للمثل، والتي تتكون من المعاني من جهة، وصورها من جهة أخرى؛ أي أن المثل يقوم على تماثل أو تشابه أو قياس بين صورة أصل (المعاني) وصورة مثل.

- قوة أسلوب المثل في التأثير نابعة من توفر البعدين الجمالي والحجاجي فيه، أي في استهداف القلب والعقل على حد سواء.

- المثل أسلوب مرن قابل للتوظيف في مجموعة من المواقف التخاطبية المتنوعة من: ذم، وحجاج، وافتخار، واعتذار، ووعظ، وفي كل واحد من هذه المواقف يؤثر بطريقة مخصوصة، تارة يستهدف العقل، وتارة يستهدف القلب، وتارة يستهدفهما معا، تبعا للغرض المنشود من وراء ضرب المثل.

فلعلنا ندرك الآن تمام الإدراك هذا السر الكامن وراء قوة تأثير أسلوب المثل، واحتلاله مكانة متميزة بين أساليب العرب، وهو المتمثل في التوازن الذي يقيمه بين الوظيفتين الشعرية والتداولية، وقد عُدّ هذا التوازن أحدَ أعمدة الفصاحة العربية، وهو ما عبر عنه السكاكي (ت 626هـ) بقوله: "إن البليغ من

أخذ بخطام كلامه، وأناخه في مبرك المعنى، ثم جعل الاختصار له عقالا والإيجاز له مجالا، فلم يند عن الأذهان، ولم يشذ عن الآذان"[22]، وهي صفات تتوفر جميعها في أسلوب المثل.

من خلال ما سلف تتضح أهمية ضرب المثل، فهو أسلوب بليغ وحكيم يحتاج من صاحبه جهدا فكريا ودربة لغوية وكفاية بلاغية، وهي عناصر لا تجتمع إلا عند البلغاء؛ أي أنه تركيب قولي صناعي بليغ يتبلور نتيجة للعمل والاشتغال وتقليب الفكر، وحسن اختيار اللفظ، وجمال التركيب، وجودة السبك والنظم، في نظام متوازن، لا يطغى فيه جانب من هذه الجوانب المذكورة على آخر، وهي عناصر ضرورية ولازمة لتفجير طاقة المثل الشعرية والجمالية، وتشكيله في صورة حجاجية إقناعية لا يجد أمامها العقل المخاطب بها سوى الإذعان والتسليم للدعوى المراد تبليغها، ولذلك فإن الزركشي(ت 794 هـ) يشبه ضارب المثل بالصانع "الذي يقدر صناعته، كالخياط يقدر الثوب على قامة المخيط، ثم يفريه، ثم يقطع، وكل شيء له قالب ومقدار، وقالب الكلام ومقداره الأمثال"[23].

3.مصطلح التقابل، من ضيق البديع إلى رحاب التأويل التقابلي

لعل من المكونات البديعية التي حظيت بعناية مهمة عند البلاغيين القدامى والدارسين المحدثين مكون التقابل، فقد أشار الزركشي(ت794هـ) إلى أهميته قائلا: "اعلم أن في تقابل المعاني بابا عظيما يحتاج إلى فضل تأمل"[24]، وقد التقط محمد بازي، وهو واحد من أبز الدارسين المهتمين بالتقابل في العصر الحديث، هذه الإشارة فأسس نظرية التأويل التقابلي.

عمل بازي على توسيع دائرة اشتغال التقابل فتجاوز به المعنى الضيق الذي حصره فيه الدرس البديعي القديم، ليدل على معاني التجاور والمحاذاة والتقريب بين العناصر والمستويات ذهنيا، بأي شكل من الأشكال، كما يشمل المواجهة بين وضعين أو موقفين، أو غير ذلك، وبناء على هذا التعريف يرى بأن الأساس المتحكم في إنشاء الخطاب عموما هو التقابل. وفيما يلي مواكبة لمسيرة هذا المفهوم.

1.3ـ التقابل بين اللغويين والبلاغيين وأصحاب علوم القرآن

1.1.3ـ التقابل في اللغة

قبل أن نبحث عن الدلالة الاصطلاحية لمفهوم التقابل، لا بد أن نعرج - في البداية- على معناه عند اللغويين، فغالبا ما يكون للأصل اللغوي تأثير في تشكل الدلالة الاصطلاحية.

فالتقابل اسم مأخوذ من الجذر الثلاثي (ق ب ل)، وقد تفرعت من هذا الأصل مجموعة من المعاني. قال الخليل (ت175هـ) : "والقبل الطاقة: لا قبل لهم، وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول لقيته قبلا أي مواجهة"[25]. وقال ابن فارس(ت395هـ): "القاف والباء واللام أصل واحد تدل كلمه كلها على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك"[26].

من خلال التعريفين السابقين يتضح أن المعنى المشترك المرتبط بهذا الأصل هو المواجهة التي تقتضي وجود شيء بإزاء شيء آخر. وهذا المعنى موجود بشكل متواتر في بقية المعاجم؛ كالقاموس المحيط ولسان العرب. يقول ابن منظور(ت711هـ): "أقبلته الشيء أي جعلته يلي قبالته (...) والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثله"[27].

اتضح مما سلف أن التقابل في مفهومه اللغوي هو المواجهة عموما، وبأي وجه وُجدت؛ فكل شيء يواجه شيئا فهو يقابله، ومن ذلك "تقابل القوم: استقبل بعضهم بعضا، وقوله تعالى في وصف أهل الجنة ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ جاء في التفسير: أنه لا ينظر بعضهم أقفاء بعض"[28]. ومن معاني التقابل المعارضة أيضا، فـ"(قابله): لقيه بوجهه. وـ الشيء بالشيء: عارضه. يقال: قابل الكتاب بالكتاب."[29] ومن معانيه أيضا الضم؛ فإذا "ضممت شيئا إلى شيء، تقول قابلته به"[30].

والخلاصة هي أن التقابل في اللغة يتراوح بين المواجهة، والمعارضة، والضم، وكل هذه المعاني تشترك جميعها في معنى المواجهة، فمتى ما وُجد شيء يواجه شيئا آخر وُضع بإزائه فثمة تقابل.

2.1.3ـ التقابل في اصطلاح البلاغيين العرب

يُعد ابن المعتز (ت274هـ) أول من أفرد لعلم البديع بالتأليف في كتابه المسمى بـ البديع، وفي معرض حديثه عن المطابقة قدّم لها تعريفا استعاره من الخليل، قال: "قال الخليل رحمه الله يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد"[31]، ويبدو من خلال استشهاداته أنه يسوّي بين الطباق والتقابل. ثم جاء من بعده قدامة (ت327هـ) فكان من الأوائل الذين ربطوا التقابل بالمعنى؛ إذ قسم المقابلة إلى قسمين : المقابلة الصحيحة، وأدخلها فيما يُعتبر من نعوت المعاني الشعرية، والمقابلة الفاسدة، وعدّها من عيوب المعاني الشعرية.

أما أبو هلال العسكري (ت395هـ)، فقد ميز بين المطابقة والمقابلة؛ إذ عقد لكل منهما فصلا مستقلا ضمن الباب التاسع من كتابه في شرح البديع[32]. وحد المقابلة عند ابن رشيق (ت456هـ) هو "مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم...وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا، وآخره ما يليق به آخرا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه"[33].

أما حازم القرطاجني (ت684هـ) فقد أولى عناية كبيرة لتناظر الكلام القائم على التقابل، لكن للأسف ضاع هذا الكلام بضياع القسم المفقود من المنهاج، وجعل المعاني المتناظرة من أحسن ما يقع في الشعر، وربط هذه الخاصية في الكلام بالمتلقي، لأنها تحرك نفسه، وتثير انفعاله. يقول في ذلك "فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها إيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأن تناظر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا

من سنوح ذلك لها في شيء واحد"[34].

وقد جعل العلوي (ت745هـ) صاحب الطراز المقابلة في الصنف الثالث من أنواع البديع؛ فعندما تحدث عن التطبيق ذكر بأنه يترادف مع التضاد، والتكافؤ، والطباق. والاسمين الأولين محط إجماع، أما الاسم الثاني فاعترض عليه قدامة بن جعفر الذي رأى بأن المطابقة والطباق يكونان في المتجانس، لذلك فـ"الأجود تلقيبه بالمقابلة، لأن الضدين يتقابلان، كالسواد والبياض، والحركة والسكون، وغير ذلك من الأضداد من غير حاجة إلى تلقيبه بالطباق والمطابقة، لأنهما يشعران بالمماثلة"[35].

تُظهر التعاريف السالفة أن دراسة التقابل عند البلاغيين خضعت لما خضع إليه علم البديع عموما؛ فانقسمت إلى قسمين: قسم عني بالجانب الشكلي القائم على إحصاء أنواع التقابلات وأشكالها كما هو الحال عند السكاكي، والقزويني، وابن رشيق. وقسم آخر التفت إلى الوظيفة الدلالية لهذا الفن كما عند قدامة، وحازم. ولكن الحلقة التي ظلت مفقودة في هذه المسيرة كلها هي تلك النظرة المتكاملة التي تجمع بين الوظيفتين الشكلية والدلالية للتقابل.

3.1.3ـ التقابل عند أصحاب علوم القرآن

أـ ابن القيم (ت751هـ)

تحدث ابن القيم عن المقابلة من أربعة أوجه[36]:

الأول في حقيقتها، وقد استعرض بعض التعريفات ثم خلص لما اختاره العلماء المتقدمون وهو "أن المقابلة ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها"، والثاني في اشتقاقها، وهي أنها مصدر من قابل الشيءُ الشيءَ يقابله مقابلة إذا واجهه، وصار ماثلا أمامه، وهو من باب المفاعلة، ويُقال: قابل الشخصُ الشخصَ، والجبلُ الجبل، واجهه، وناوحه، إذا صار موازيا له ماثلا أمامه. وتم نقل هذا المفهوم إلى البلاغة عبر التوسع؛ فلما وضع المؤلف الكلمة بإزاء الكلمة الأخرى، والمعنى بإزاء المعنى الآخر حصلت المقابلة من جهة اللفظ تارة، ومن جهة المعنى أخرى. والثالث في أقسامها، فهي ثلاثة: مقابلة لفظية، ومقابلة معنوية، ومقابلة فاسدة، وهذه الأخيرة تعني مقابلة الشيء بما لا يوافقه ولا يخالفه. والرابع في الفرق بينها وبين الطباق، وذلك من وجهين: الأول أن الطباق لا يكون إلا في ضدين غالبا، والمقابلة تكون غالبا بالجمع من أربعة أضداد. والثاني أن الطباق لا يكون إلا في الأضداد، أما المقابلة فتكون في الأضداد وغيرها.

وبخصوص أنواع المقابلة عنده فهي ثلاثة لا رابع لها، وهي: أولا مقابلة الشيء بضده. وثانيا مقابلة الشيء بغيره بمناسبة وبغير مناسبة. وثالثا مقابلة الشيء بما يماثله، وهو يكون إما في اللفظ والمعنى معا، وإما في المعنى دون اللفظ.

وقد دعا ابن القيم إلى ضرورة الاهتمام بالتقابل عبر التدبر والتأمل. يقول في ذلك: "واعلم أن في تقابل المعاني بابا عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل وزيادة نظر وتدبر، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور، وبالأعجاز من أبيات الشعر"[37].

بـ الزركشي (ت794هـ)

عرّف الزركشي التقابل بأنه "ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها"[38]، وفرّق بينه وبين الطباق من وجهين: أولهما أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين، أما المقابلة فتكون في الغالب لأكثر من ذلك، وثانيهما أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها. ومن خلال هذا التفريق، فإن الزركشي يستعمل التقابل بمفهوم أوسع، فهو لا يقتصر على المعاني المتضادة فقط، ولكنه يتعداها إلى المعاني المتخالفة والمتناظرة والمتماثلة. وأورد رأيا للشيخ أبي الفضل يوسف بن محمد النحوي القلعي يرى فيه أن القرآن كله وارد على المقابلة "بظهور نكتة الحكمة العلمية، من الكائنات والزمانيات والوسائط الروحانيات والأوائل الإلهيات، حيث اتحدت من حيث تعددت، واتصلت من حيث انفصلت"[39].

إن كلام الزركشي هذا ينطوي على إشارة مهمة، وهي أن الدارس لبلاغة القرآن عليه أن يتنبه إلى أن الأسلوب القرآني في عمومه مبني على التقابل. فالقرآن سمّي فرقانا لأنه جاء ليفرق بين طريق الحق وطريق الباطل، وهما طريقان عُرضا في أغلب المواضع في شكل تقابلات، منها ما يكون بارزا للعيان، ومنها ما يكون خفيا يحتاج لفضل تأمل وإعمال فكر. وقد تتبع الزركشي أنواع المقابلة في القرآن فوجدها ثلاثة أنواع[40]: وهي نظيري، ونقيضي، وخلافي.

فالأول مثل مقابلة السنة والنوم في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[41].والثاني مثل أيقاظا ورقود في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[42]. والثالث مثل الشر والرشد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[43].

وأضاف الزركشي في بحثه عن المقابلة فائدتين مهمتين؛ أولاهما أن المقابلة قد تكون خفية وفي هذه الحالة تحتاج إلى مزيد من التأمل، وذلك من شأنه أن يبيّن أنها من أكمل المقابلات، والثانية أن خفاء هذه المقابلات هو مؤشر من مؤشرات إعجاز هذا الكتاب، فقد أورد الآية الكريمة {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمّ وَالْبَصِيرِ وَالسّمِيعِ}[44]، مستحضر سؤال قد يتبادربخصوص هذه الآية وهو: لمَ لا قيل "مثل الفريقين كالأعمى والبصير، والأصم والسميع"، وعلق عليه: "والجواب أنه يقال: لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع، وبضد ذلك لما ذكر انفتاح البصر أعقبه بانفتاح السمع؛ فما تضمنته الآية الكريمة هو الأنسب في المقابلة والأتم في الإعجاز"[45].

جـ السيوطي (ت849هـ)

جعل السيوطي المقابلة أحد أنواع الطباق فعرّفها قائلا: "ومنه (الطباق) نوع يسمى المقابلة وهي أن يذكر لفظان فأكثر، ثم أضدادهما على الترتيب"[46]، وبعد هذا التعريف استعرض أقوال بعض العلماء في المقابلة، وبدأ بتفريق ابن أبي الإصبع(654هـ)

بينها وبين الطباق، وذلك من وجهين[47]: أحدهما أن الطباق لا يكون إلا من ضدين فقط، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد على الأربعة إلى العشرة. والثاني أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وبغيرها.

ثم ذكر ما قاله السكاكي[48]، وما قيل في أقسام المقابلة إلى أن أوصلها إلى مقابلة ستة بستة، وذلك في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[49] مقابل قوله تعالى ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[50]؛ إذ قابل "الجنات، والأنهار، والخلد، والأزواج، والتطهير، والرضوان" بـ" النساء، والبنين، والذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث".

وبعد هذا التقسيم، استعرض أقسام المقابلة الثلاثة التي ذكرها الزركشي دون أن ينسبها إليه[51].

على الرغم من أن أصحاب علوم القرآن لم يأتوا بجديد يذكر بخصوص مفهوم التقابل، فإن بحوثهم، في اعتقادنا، كانت ذات أهمية كبرى تتجلى في تركيزهم في هذا المبحث على القرآن؛ فقد اعتمدوا أمثلة منه، بخلاف البلاغيين الذين كانت أغلب أمثلتهم من الشعر. وبذلك منح التقابل مكانة بلاغية بارزة بأن عدوه صورة من صور إعجاز القرآن الكريم، لا سيما في أشكاله الخفية التي تدعو إلى التأمل والتدبر. ويضاف إلى ذلك إشارتهم إلى انتقال الدلالة اللغوية للتقابل إلى حقل البلاغة عن طريق التوسع.

2.3. محمد بازي وتوسيع مفهوم التقابل

يعتبر محمد بازي أبرز الدارسين المحدثين الذين يهتمون بالتقابل ودوره في التأويل، وقد فطن إلى إشارة الزركشي المذكورة أعلاه، فالتقطها التقاطا، واغتبط بها اغتباطا، فحاول جاهدا طرق هذا الباب-على حد تعبيره- "ليفتح لنا فنلج عوالمه، ونقف على بدائع أسراره"[52]. وقد اطلع الكاتب، فيما يبدو، على أبرز الدراسات في مجال التقابل في القرآن الكريم، إلا أنها في رأيه توقفت عند الحدود التحليلية لمظاهر التقابل وتجلياتها، وحدود خدمتها للمعنى[53].

وبناء على ذلك فإن مشروعه الذي يقترح، يتجاوز هذه الحدود ويسعى إلى فتح آفاق أوسع أمام الدرس التقابلي، وذلك عبر ربط التقابل بالتأويل. وعبر هذا الربط صاغ نظريته التي سماها بـ"نظرية التأويل التقابلي"، والتي بسط أسسها وآلياتها في كتابه **نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب**[54]. فما المقصود بالتأويل التقابلي عند بازي؟

وعندما يوصف التأويل بـ"التقابلي" فإنه يُقصد به نوع خاص من التأويل، وهو الذي يسعى بازي إلى إرساء دعائمه ضمن نظرية تأويلية عربية. فعندما يتحدث الباحث عن التقابل في علاقته بالنصوص والخطابات يربطه بدوره في تأويل هذه النصوص والخطابات والوصول إلى معانيها العميقة؛ ويجعل منه "استراتيجية قرائية لصناعة المعنى، يمكن الاشتغال بها لفهم النصوص والخطابات وتفهيمها"[55].

هكذا يوسع الباحث من دائرة اشتغال التقابل فيتجاوز به ذلك المعنى الضيق الذي حصره فيه الدرس البلاغي القديم، ليدل على معاني التجاور والمحاذاة والتقريب بين العناصر والمستويات ذهنيا، بأي شكل من الأشكال، كما يشمل المواجهة بين وضعين أو موقفين، أو غير ذلك، للتمكن من فهم النص وإفهامه من خلال مبدأين[56] :

الأول : التساند بين الآليات التي تنبني عليها النصوص والخطابات.

الثاني: الجهد الذهني للمؤول المستقصي للمعاني والعلاقات الممكنة بين العناصر النصية والمستويات السياقية.

4. التحليل التقابلي للخطاب في الحديث

إن الناظر في كتب الحديث النبوي الشريف سيجد أن بعض الأحاديث صاغها النبي صلى الله عليه وسلم في قالب مثلي، وسبق أن ذكرنا أن الترمذي (ت 279 هـ) خصّها بباب استعرض فيه ما يقارب الثلاثين حديثا، ونحن نختار واحدا على سبيل التمثيل، وإلا فإنها جميعها تنطوي على بعد تقابلي وقابلة للقراءة والتحليل وفقه، وقد وقع اختيارنا على حديث الجليس الصالح وجليس السوء، وهو من الأحاديث المشهورة التي تعالج موضوعا أساسا في حياة المؤمن خصوصا والإنسان عموما، وهو موضوع الرفقة والصحبة، وهو موضوع خطير جدا بالنظر إلى تأثير المصحوب في الصاحب، وقد قيل "**الصاحب ساحب**"، أي أنه إما يسحبك إلى طريق الخير والنجاة، وإما يسحبك إلى طريق الشر والهلاك.

نص الحديث

عن أَبي موسى الأَشعَريِّ رضي الله عنه أَن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**إِنَّما مَثَلُ الجليس الصَّالِحِ وَجَليسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً**"[57]. متفقٌ عَلَيهِ.

1.4. التقابلات السياقية

إن الصيغة التي ورد بها هذا القول لا تدع لقارئه وسامعه على حد سواء أدنى شك في أنه ينتمي إلى خطاب الحديث النبوي، والحديث كما في اصطلاح المحدثين "هو ما ورد عن الرسول محمد بن عبد الله من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو صفة خُلقية أو سيرة سواء قبل البعثة أم بعدها". وإذ تأكدت لنا نوعية الخطاب فإن متلقيه يستحضر تقابلا بين الحديث والقرآن الكريم، باعتبار الحديث هو السنة أو جزء منها، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، ومعلوم أن العلاقة بين هذين المصدرين علاقة تقابلية في مجملها يمكن

تفصيلها على النحو الآتي:

القرآن الكريم		السنة النبوية
تشريع حكم	مقابل	تأكيد وتقرير
إجمال		تفصيل
تعميم		تخصيص
إطلاق		تقييد
إشكال		توضيح
سكوت		تشريع حكم جديد
تشريع حكم		نسخ الحكم

والمطلع على القرآن الكريم، أو الملم ببعض تفاسيره لا يجد أدنى صعوبة في تحديد العلاقة التي يقيمها حديثنا هذا مع القرآن الكريم، فهي علاقة تشريع/تأكيد وتقرير، وعلاقة إجمال/تفصيل أيضا، فالحديث جاء ليقرر حكما جاء في القرآن الكريم عاما ويفصله، ذلك أن في القرآن آيات تدل على وجوب اتخاذ الصاحب الصالح، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[58]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[59]، فهي آيات تدعو إلى الصحبة الصالحة، وهو ما جاء الحديث لتأكيده وتفصيله.

ويمنحنا استحضار السياق العام لخطاب الحديث تقابلا تواصليا رباعيا أطرافه هي: الله (المرسِل) (مقابل) الرسول (المبعوث) للناس جميعا والمبلّغ (مقابل) الأمة (المخاطبين المقصودين، وعموم المسلمين من بعدهم) (مقابل) مضمون الخطاب (الحديث) . وينشأ عن هذا التقابل إشكال يتعلق بالمخاطبين الذين أتوا بعد زمن البعثة كيف يمكنهم التأكد من صحة ما يصلهم من أقوال باعتبار أنها صدرت فعلا عن رسول الأمة؟

ومما لاشك فيه أن المهتمين بدراسة الحديث النبوي الشريف يركزون على عنصرين أساسيين، هما السند والمتن، وبالتالي فالتقابل السياقي الثاني الذي يمكن الوقوف عنده هو تقابل السند/المتن. فالحديث رواه الشيخان مما يعني أنه ثابت الصحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أن صحة الحديث تقابل صحة السند والمتن معا، أما صحة أحدهما فلا تقابل صحة الحديث، وضعف أحدهما كاف للحكم بضعف الحديث، وبالتالي لا ينبغي العمل به. ويمكن تلخيص هذه التقابلات على النحو الآتي:

صحة السند/صحة المتن ⟷ صحة الحديث ⟷ العمل به (وجوبا/جوازا/ندبا)

ضعف أحدهما أو هما معا ⟷ ضعف الحديث

ضعف الحديث ⟷ انتفاء التأويل ⟷ انتفاء العمل به

وحينما يسمع المؤمن أن الحديث متفق عليه يستحضر تقابل غياب وحضور، طرفه الأول الحاضر هو كتابا الصحيحين، والطرف الثاني هو بقية كتب الحديث، يقابله أن ما في الصحيحين مقطوع الصحة، مقابل ما في الكتب الأخرى فيه الصحيح وغيره، ووفقا لهذه التقابلات تسكن نفس المؤمن وتطمئن للحديث فيأخذه على محمل الجد، فما دامت صحته ثابتة لا لبس فيها، فعليه الأخذ بمقتضاه، باعتبار أن الحديث هو المصدر الثاني من مصادر التشريع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم زكاه الله تعالى في قوله فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[60]، والمؤمن مأمور بالأخذ بقوله مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[61].

وهناك تقابل الراوي/المروي عنه، فالراوي هو الصحابي الجليل المعروف أبو موسى الأشعري، والمروي عنه هو محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم ثقاة، على المؤمنين أن يقتدوا بهم فهم كالنجوم بأيّهم اقتدوا أفلحوا. هذه التقابلات كلها تثبت صحة القول ونسبته للنبي صلى الله عليه وسلم مما يفضي بنا إلى تقابل آخر وهو قول النبي/ انتباه المؤمن، فإذا ما سمعت أيها المؤمن "قال النبي صلى الله عليه وسلم"، عليك أن تعيره سمعك، فقول النبي صلى الله عليه وسلم يدور في مجمله حول تقابلات نووية تشكل أساس البلاغ الرسالي هي: الأمر/النهي، والبشارة/النذارة، والتحليل/التحريم، والترغيب/الترهيب، وعموما فكل قول للنبي صلى الله عليه وسلم يقتضي الانتباه والتيقظ؛ فإنما هو خير يريد أن يدلك عليه، ويرغبك فيه، وإما هو شر يريد أن يحذّرك منه ومن عواقبه، وينهاك عنه.

وهذا التقابل الأخير يزكي مشروعيته تقابل آخر هو تقابل الشيخين مسلم/البخاري وهو تقابل تتميمي، فصحيحاهما أصح الكتب من بعد القرآن الكريم، وكلاهما وضع شروطا لتلقي الحديث، والبخاري أكثر تشددا في هذا المجال، فهذا الاتفاق على رواية هذا الحديث لا يدع لك أدنى شك أيها المؤمن في أنه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه له وأعره سمعك، وكن مطمئنا أنه قول صادر عن رسول الله فعلا!

ثم هناك تقابل يحكم العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أفراد أمته، وهو تقابل ضارب المثل/ والمضروب لهم. فمن أساليب التربية النبوية ضرب المثل كما أسلفنا، والمثل وسيلة فاعلة في تقريب المعاني تتطلب من المؤمنين أن يتدبروها ويعقلوا معانيها. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[62]. والمثل: عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوره.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يبلغ أمته أمرا في غاية الأهمية، وهو يعلم أن فيهم القارئ والأمي، وفيهم العاقل الثاقب العقل، وفيهم المتوسط الإدراك، وفيهم الذكي السريع الفهم، وفيهم البطيء الثقيل الفهم، وهو بُعث للناس كافة، فاختار السبيل الذي يدركه الجميع؛ فلجأ إلى مبدأ التصوير عن طريق المثل، الذي يقرب معنى الحديث بصورة بصرية

منتزعة من واقع الناس الذي يعيشونه، ويعرفونه حق المعرفة عن طريق الممارسة، حتى يتسنى لهم إدراكه وفهمه، وبالتالي تتحقق الغاية الأولى منه وهي الاعتبار به والتصرف وفقه، وقد لخص الماوردي مزايا المثل هذه في قوله: "وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها، لأن المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة والنفوس بها وامقة والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة"[63].

يمنحنا ما سبق التقابلات الآتية:

الله	مقابل	محمد صلى الله عليه وسلم
ضرب الأمثال للناس بما فيهم النبي		ضرب الأمثال لأمته
أمر بضرب المثل		استجاب للأمر ونفذه
أمثال القرآن		أمثال الحديث

ودائما في إطار التقابلات السياقية هناك تقابل آخر طرفاه النبي مقابل العلماء والوعاظ في زمنه وفي الأزمان الآتية من بعده إلى يوم القيامة، فهؤلاء ورثة الأنبياء، لذلك فالحديث يحتمل تقابلا ضمنيا على النحو الآتي:

النبي بلغتُ/بلغوا عني أنتم، أي رغبّت في صحبة الأخيار وحذّرت من صحبة الأشرار مقابل رغّبوا أنتم الناس في صحبة الأخيار وحذّروهم من صحبة الأشرار .

2.4. التقابلات النصية

للوهلة الأولى تتضح البنية التقابلية للخطاب النبوي في هذا الحديث، وتظهر هنا جلية واضحة لا تحتاج لكثير تفكير، ولا عناء استقصاء. إنه التقابل بين الجليس الصالح والجليس السوء، فكل الناس يتخذ جليسا بلا شك، لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، ومن الصعب؛ إن لم يكن من المستحيل؛ أن تجد إنسانا يعيش معزولا بدون رفيق أو صديق. يمكننا إذن استخلاص التقابلات الآتية: الإنسان الاجتماعي مقابل الإنسان الانعزالي، الإنسان الاجتماعي سائد مقابل الانعزالي نادر، الصحبة ضرورة مقابل الانعزال صعب، والنتيجة هي أن الإنسان شاء أم أبى سيدخل في علاقة مع الآخر، ويحتاج الناس إلى مصاحبة بعضهم بعضا.

ولكن الجلساء والأصحاب صنفان، أحدهما صالح، والآخر سيء، ولما صار ذلك معلوما، يقال فما مثلهما؟ فيأتي التقابل الجواب كحامل المسك و نافخ الكير، والعلاقة بين التقابلين يمكن أن نسميها تقابل التقابل الذي طرفاه هما: الجليس الصالح/الجليس السوء، وحامل المسك/نافخ الكير.

ثم يأتي البيان النبوي لهذه التقابلات، فحامل المسك لا يُعدم جليسه فائدة منه؛ إما كبيرة أو صغيرة، فمن يجالس حامل المسك، إما أن يستفيد منه مسكاً عن طريق الهدية، أو عن طريق الابتياع، وفي أقل أحواله يشم منه ريحاً طيبة. فلتتخيل أنك في محل لبيع المسك والعطور عموما، مع إشرافك على عتبة الباب تطالعك روائح زكية تبعث انتعاشة جميلة في نفسك، بعدها تبدأ في اختبار أنواع العطر، يضع البائع هذا النوع في كفك، وبعد أن تشمه جيدا، يضع الآخر على ظاهر يدك، ثم الآخر في معصمك، والاخر في اليد الأخرى، وهكذا من رائحة إلى أخرى، تختم ذلك بنوع يعجبك فتبتاعه وتحمله إلى بيتك لتستعمله متى تشاء، وإذا لم يعجبك أي واحد لا يغضب البائع وإنما يعدك بإحضار أنواع أخرى ويطلب منك العودة في فرصة لاحقة.

أما نافخ الكير، فلك أن تتصور أنك تقف في المكان الذي يشتغل فيه، وهذا لا يعني أبدا أنها مهنة غير شريفة، أطراف من الحديد مترامية هنا وهناك، شرر يتطاير في كل اتجاه، أشعة نارية حارقة لاهبة، ضوء حاد يعمي العيون، ورائحة كريهة تدعوك لسد أنفك اتقاء لحدتها.

فأي الرجلين تطمئن له النفس وتسكن، وأيهما يفضل العاقل مصاحبته ومجاورته، ودوام الجلوس معه؟ لا شك أن الفطرة السليمة والعقل المتوازن يختاران بائع المسك.

1.2.4. من التقابلات المنطلق إلى التقابلات الهدف

هذه التقابلات التي سمحت باستخلاصها البنية التركيبية لخطاب الحديث هي تقابلات منطلق، وإن كانت مهمة إلا أنها تنطوي في بنيتها العميقة على تقابلاتت أخرى تسمى التقابلات الهدف[64] وهي الأهم، أولها تقابل حامل المسك/أهل التقوى والصلاح. فحال بائع المسك كحال أهل التقوى والصلاح، يستفيد منهم جليسهم الإرشاد إلى الخير والدلالة على ما ينفع ليسلك سبيله، كما يستفيد منهم المعرفة بالأشياء الضارة، ليجتنبها ويكون على حذر منها، فيألف بمجالستهم الخير ويعوّد نفسه عليه حتى يكون له خلقاً، ويبغض الشر والأشرار ويربأ بنفسه عن فعله والميل إلى أهله.

والتقابل الثاني نافخ الكير/أهل الفساد والفجور، فإن الذي يجالس نافخ الكير لا يعدم مضرة ما إما في بدنه أو ثيابه، وأقل أحواله ما يشمه من ريح خبيثة، فهذا حال مجالسة أهل الفساد والفجور، ضررهم على جليسهم كبير، والمصيبة عليه عظيمة، يحبّبون إليه الشر ويرغبونه فيه، ويزهّدونه في الخير ويثنونه عنه، يأمرونه بالمنكر وينهونه عن المعروف.

ومن التقابل بين مزايا بائع المسك المذكورة يمكن توليد مزايا الجليس الصالح الغائبة ضمن ما يعرف تقابل الحضور والغياب كما ذكرنا من قبل، فيحذيك مقابل ينفعك لحظة الحاجة إليه، وتبتاع منه مقابل الانتفاع الدائم بصحبته (يدلك على الخير، يذكرك بالله، يساعدك، ...)، وتجد منه ريحا طيبة مقابل الاطمئنان إليه ساعة مجالسته، والإحساس بالراحة في حضرته. والشيء نفسه في تقابل جليس السوء/نافخ الكير؛ فيحرق ثيابك مقابل تأثيره السيء الطويل الأمد (يعلمك أخلاق السوء، الغفلة عن الله، يحبب إليك المعاصي والآثام...)،

وتجد منه ريحا منتنة مقابل تأثيره لحظة مجالسته، تجد منه غلظة، فحشا في الكلام، دعوة إلى المحرمات...

أضف إلى ذلك تقابلا آخر تسمح بتوليده البنية التقابلية الذهنية، وهو جليس أهل الصلاح يتحول صالحا مقابل جليس أهل السوء يتحول سيئا، أي أن جليس الصلحاء يتعدى صلاحه إلى غيره فيصبح مطلوبا للمجالسة مقابل جليس أهل السوء يتعدى ضرره إلى غيره، فيصبح التحذير من مجالسته أمرا واجبا.

وفي إطار التقابلات الهدف دائما والتي تسمح ببلورتها البنية العميقة، يمكن استخلاص تقابل ثلاثي هو أن الجليس الصالح مقابل ما يحبه الله ورسوله مقابل ما تكرهه النفس، ويقابل هذا التقابل تقابل آخر هو جليس السوء مقابل ما يكرهه الله ورسوله مقابل ما تحبه النفس، وفيما يلي خطاطة موضحة:

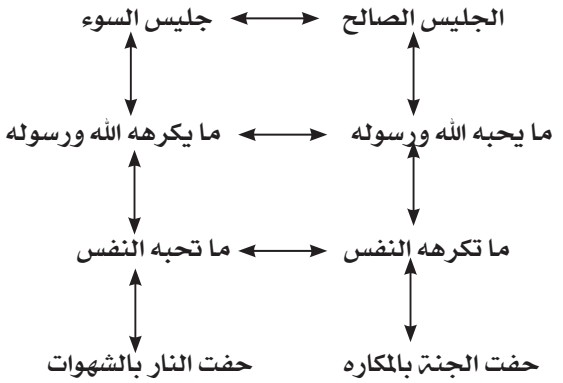

هذه التقابلات تفضي كلها إلى تقابل أساس هو صحبة الأخيار تعود بالنفع مقابل صحبة الأشرار تعود بالضرر، ويقابلها: اللبيب العاقل يختار الجليس الصالح مقابل الغافل الساهي يختار جليس السوء.

ومن التقابلات الهدف كذلك ما استنبطه النووي من الحديث حيث قال: "وفيه طهارة المسك، واستحباب وجواز بيعه"[65]، وهو قول يمنحنا التقابلات الآتية:

القول بطهارة المسك مقابل القول بنجاسته، الحديث دل على الطهارة مقابل نفي النجاسة، القول بالطهارة ثابت وصحيح مقابل القول بالنجاسة غير صحيح، وينتج عن ذلك أن طهارة المسك مقابل جواز استعماله مقابل استحباب وجواز بيعه. وهي تقابلات ناتجة عن كفايات الاستنباط التي يعتمدها الفقهاء والمحدثون في استخراج الأحكام.

2.2.4. تقابلات التساند والتطالب

ولمحلل الخطاب النبوي أن يستحضر في إطار التقابلات التناصية من النصوص المتقابلة مع النص موضوع التحليل ما يعضده ويؤكد دلالته ويدعم تأويله، وهي تقابلات جسرية عابرة للنصوص تسمح بإحداث تواجه أو تقريب ذهني تأويلي بين ما جاء في هذا الحديث وما جاء في القرءن الكريم من جهة أولى، وبينه وبين ما جاء في أحاديث أخرى من جهة ثانية، وبينه وبين ما جاء في نصوص أخرى من أقوال السلف والشعراء من جهة ثالثة.

أما المقابلة بين ما جاء في الحديث وما جاء في القرآن الكريم فتناولناها في إطار العلاقة بين القرآن والسنة، وأما النصوص الحديثية المقابلة لمثل الحديث المدروس فلنا أن نستحضر مثلا الحديث الذي يقول فيه رسول الأمة: "**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**"[66].

وأما من الأقوال والأشعار فنستحضر، في إطار الذاكرة الحافظة والمتون المدونة عبر المقابلة التي محورها الأساس هو الحث على الصحبة الصالحة ما يأتي:

أولا؛ قولة للفاروق عمر رضي الله عنه تقول: "**ما أعطي العبد بعد الإسلام نعمة خيرا من أخ صالح، فإذا وجد أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به**" .

ثانيا؛ من أقوال السلف الصالح قولة لابن القيم تعليقا على تفسير الآية ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[67] يقول فيها: "يأبى الله أن يدخل الناس الجنة فرادى، فكل صحبة يدخلون الجنة سويا".

ثالثا؛ من الأشعار نستحضر:

قول أحدهم من الطويل:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ♦♦♦ ولا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

عَنِ الْمَرْءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ♦♦♦ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ مُقْتَدِي

وقول مالك بن دينار من الطويل كذلك:

وصاحب خيار الناس تنج مسلما ♦♦♦ وصاحب شرار الناس يوما فتندما

وقول أبي الفتح البستي من المتقارب:

إذا ما اصطفيتَ امرأً فليكنْ ♦♦♦ شريفَ الخِصالِ زَكِيّ الحَسَبْ

فَنَذْلُ الرِّفاقِ كَنَذْلِ النبات ♦♦♦ فلا للثمارِ ولا للحَطَبْ

واستحضار هذه الأحاديث والأقوال والأشعار يدخل ضمن استراتيجية التساند والتطالب التي تعتبر من أبرز أسس التأويلية العربية التي كرّسها علم التفسير، فهي استراتيجية قائمة على المقابلة بين النصوص المختلفة خدمة للمعنى أو اسيتيفاء لجوانبه قصد تحقيق الفهم والإفهام، وهي ذات بعد توسيعي وتعضيدي، لجأ إليها المفسرون ويلجأ إليها الخطباء والوعاظ اليوم في خطبهم، كما يلجأ إليها محللو الخطاب بشكل عام، لما تفتح من آفاق، ولما توسع من مدارك في فهم الخطاب وتأويله.

ودائما في إطار آليتي التساند التأويلي والتطالب المعنوي لنا أن نستحضر مثالا للضرر البالغ لجليس السوء وهو ما ثبت في الصحيحين بخصوص قصة وفاة أبي طالب، فإن النبي صلى

الله عليه وسلم لما رغّبه في الإسلام، ودعاه إليه عند الموت، عارض هذه الدعوة الخيّرة أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية وقالا: "يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب". وكلما أعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الحق أعادا عليه دعوة الإبقاء على الكفر، والاستمرار عليه حتى كان آخر ما كلمهم به أنه على ملة عبد المطلب، وهكذا فوّتا عنه طريق الخير.

تنكشف لنا إذن البنية التقابلية للمثل النبوي في هذا الحديث من خلال مجموعة من الأزواج المتقابلة وهي: الجليس الصالح/ الجليس السوء، حامل المسك/نافخ الكير، يحذيك، تبتاع منه/ يحرق ثيابك، تجد منه ريحا طيبة/تجد منه ريحا منتنة. وهذه التقابلات كلها تجد مرجعها في النواة التقابلية الدلالية التي يتأسس عليها الخطاب النبوي عموما وهي الدعوة إلى الخير/ التحذير من الشر، فالنبي صلى الله عليه وسلم ما ترك خيرا إلا ودل الناس وعليه ورغبهم فيه، وما ترك شرا إلا وحذرهم منه وخوّفهم من عواقبه. ويمكن تلخيص ذلك في الخطاطة الآتية التي توضح العرض التقابلي للحديث الشريف:

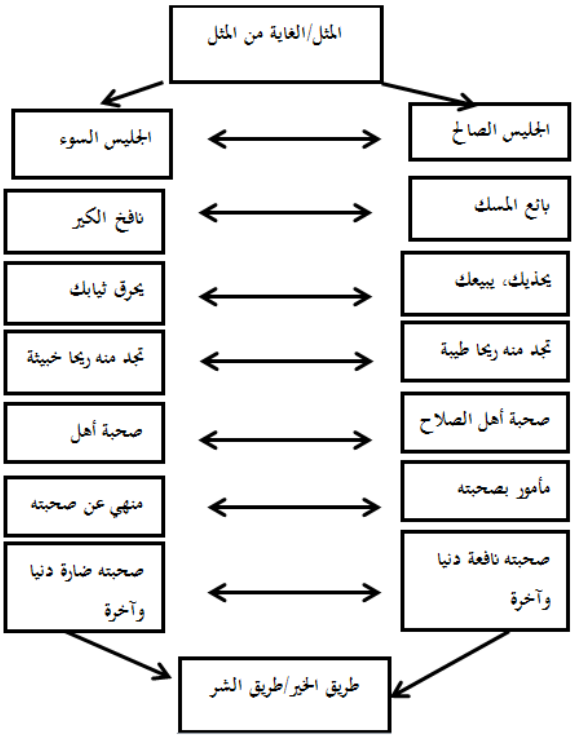

انطلاقا من تضافر هذه التقابلات السياقية والنصية تتجلى البلاغة النبوية في أسمى صورها؛ تمثيل، وتشويق، وبلاغة، وبيان في أجمل الحلل، فالمتتبع للحديث يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم، بدأ حديثه بأداة الحصر، ليبين أن الجلساء صنفان لا ثالث لهما، واستعمل كلمة "مثل" ليبين أنه يريد أن يصور حالا بحال، فلما قال "**إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السُّوءِ**"، فكأنما قيل ما مثلهما؟ فأجاب صلى الله عليه وسلم بقوله: "كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ"، فازداد السامع اشتياقا وكأنما قيل: وما حالهما؟ فيأتي البيان النبوي ناصعا: "**فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**".

3.2.4. التقابلات البلاغية في الحديث

بُني المثل بناء بلاغيا بديعا يقوم على ما سماه البلاغيون أسلوب اللف والنشر، والذي عرّفه القزويني (ت 736هـ) بقوله: "ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يرده إليه"[68]. فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أمرين في أول الكلام: إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء، وهذا يُسمى اللف، ثم ذكر حكمين بعدهما، كل حكم يرجع إلى واحد من المذكورين السابقين، وهذا يُسمى النشر، يعني أنه: لم يذكر الجليس الصالح ثم مَثَله بعده، وجليس السوء ومَثَله بعده، ولكنه أتى بالاثنين جليس الصالح والسوء، ثم أتى بالحكمين بعدهما. والحكمان هما: كحامل المسك، ونافخ الكير مرتبان على الأوصاف السابقة من غير تقديم أو تأخير وهو الذي يسمونه اللف والنشر المرتّب.

ويسمح التأويل التقابلي للحديث باعتباره قولا بليغا باستحضار التقابلات الغائبة وذلك لأن بلاغة المثل وكما رأينا تقوم، من بين ما تقوم عليه، على الاختصار والإيجاز، وفي هذا السياق وعبر تقابل الغياب والحضور يمكن لمحلل هذا الحديث أن يستحضر الطرف الغائب في هذا التقابل وهو اللف والنشر غير المرتب، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[69]، فقد ذكر أمرين: تبيض وجوه /تسود وجوه، ولكن عند إيراد حكميهما، بدأ بحكم الثاني: اسودت وجوههم/ ابيضت وجوههم.

وثمة تقابل بلاغي آخر بين ما وضع له الأسلوب في الأصل والمعنى الذي يفيده في سياق معين، فالحديث هنا ورد في صيغة أسلوب خبري، والخبر كما هو معلوم غايته إخبار المخاطب بمضمون الكلام الملقى إليه، ولكن باستحضار سياق الحديث (القائل: الرسول، المخاطب الأمة، السياق العام التبليغ) نصل إلى معنى المعنى وهو الأمر والنهي اللذان يفيدان الترغيب والتحذير، فالكلام ظاهره خبر، وباطنه ترغيب وتحذير. ويمكن أيضا الوقوف عند التقابل في ظاهرة الحذف، ففي الحديث حذف، يمكن تقديره تقابليا على النحو الآتي:

فحامل المسك...أو تجد منه ريحا طيبة، **فجالسه!**، مقابل ونافخ الكير...أو تجد منه ريحا منتنة، **فلا تجالسه!**. ومن هذا التقابل نستنتج تقابلا آخر هو تقابل الأمر (فجالسه) والنهي (لا تجالسه)، وهكذا بالانتقال من البنية النصية الظاهرة إلى البنية الذهنية التأويلية، أو من التقابلات الأفقية إلى التقابلات العمودية، يمكن توليد عدد كبير من التقابلات الثاوية في البنية العميقة لخطاب الحديث النبوي.

يتضح، إذن، أنه عبر تقابل الغياب والحضور يمكن لمحلل الخطاب أن ينفتح على خطابات أخرى وأنماط قولية موازية لما ورد في الخطاب موضوع التحليل، كما يتضح أن صياغة هذا

المثل في أسلوب اللف والنشر يؤكد ما ذهبنا إليه من كون المثل يجمع بين الغايتين الإمتاعية الجمالية والنفعية الإقناعية. يقول الزمخشري(ت 538 هـ) موضحا هذه الغاية المزدوجة: "ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى يريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد. وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي"[70].

5.العبرة من الحديث: تقابل المعنى ومعنى المعنى

تسمح هذه القراءة التقابلية لهذا الحديث النبوي الشريف باستخلاص العبرة الآتية من مختلف المعاني التي تم توليدها خلال التحليل، والتي مفادها، "إنك أيها الإنسان لا تستطيع أن تعيش وحدك منعزلا عن الناس، وإذن، فلا بد لك من جليس أو جلساء، تأوي إليهم، تحدثهم ويحدثونك، وتبادلهم الآراء، تشير عليهم، ويشيرون عليك، واعلم أنك ستجد أمامك صنفين من الجلساء؛ أحدهما صالح تقي يريد لك الخير كما يريده لنفسه، يبذل لك النصح، ويخشى عليك الهلاك، ويحب لك الفلاح في الدنيا والآخرة، كلما جلست إليه جنيت منفعة إما مادية وإما معنوية، وهو في ذلك مثل بائع المسك الذي إما أن يهديك مسكا، أو يبيعك منه، أو تشم منه رائحة طيبة حتى ولو لم يعطك، ولم يبعك. والصنف الثاني جليس سوء، يدلك على الشر، ويدفعك للهلاك، يلهيك عن أمور طاعتك، ويشغلك بما لا ينفعك، وأنت دائما معه في خسران، كأنك تجالس نافخ كير، فهو إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تشم منه رائحة منتنة. فأنت أمام طريقين مختلفين متباينين فانظر ماذا تختار، وإذا كنت عاقلا ما أظنك إلا ستتدبر المثل وستسلك الطريق الأول".

فعبر المثل القائم على التقابل استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلي لنا صورة الصاحب الصالح في أجمل حلة (طيبة ولين وهدية ورائحة زكية) تنشرح لها الصدور وتتطلع إليها الهمم، وبالمقابل جلّى لنا الصحبة السيئة في أقبح صورة (نار وشرر وغلظة ورائحة خبيثة) تنفّر النفوسَ منها وتجعلها تشمئز عند مجرد ذكرها. إنه عرض مثلي تقابلي يبيح للمتلقي المقارنة حتى يتجلى له "مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليا عن الآخر لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده. فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبا"[71]، كما يقرر رائد البلاغة حازم القرطاجني. ولذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم الأمثال للناس من واقعهم المحسوس الذي يدركونه عن قرب، ويلامس حياتهم التي يعيشونها حتى يسهل عليهم فهمه واستيعابه عبر إجراء التقابلات كالتي رأينا. فبفضل المثل يصبح المعنى ظاهرا وشاخصا أمام الإدراك.

ليس هذا الحد الذي وقفنا عنده هو النهاية، فالحديث مازال يعطي إذا أولي العناية الكافية، ولكن حسبنا من الجهد ما دل على الغاية. وما أحوجنا إلى إدراج هذا الحديث في مقرراتنا الدراسية وتعليمه لأبنائنا في زمن يعاني فيه الآباء كثيرا بسبب أصدقاء السوء الذين يفسدون أخلاق أبنائهم، وما أكثر هؤلاء الذين هدفهم التخريب وإقبار القيم الفاضلة، ونشر المخدرات وقيم الفساد الأخلاقي، حتى بات الخوف على الأولاد من رفقاء السوء يقض مضجع الآباء ويشغل بالهم أكثر من أي زمن مضى، إلى درجة أن بعضهم لم يعد يهمه نجاح ابنه وتحقيق مستقبل جيد بقدر ما يهمه أن يظل سوي الأخلاق معافى من بلايا المجتمع وشروره.

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

الهوامش

(1) إبراهيم، جزء من الآية، 4.

(2) مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1412هـ/1991، رقم 523، ص. 371.

(3) الإسراء، الآية، 9.

(4) الفرقان، الآية، 33.

(5) الكهف، الآية، 45. وهناك موضعان آخران هما: الكهف، الآية 32، ويس: الآية، 13.

(6) إبراهيم، 45، النحل، 75، الروم، 28، الزمر، 29، التحريم، 10، وغيرها من الآيات.

(7) البقرة، 17، 171، 261، 264، آل عمران، 59، الأعراف، 176، العنكبوت، 41، وغيرها...

(8) محمد بازي، البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب، كنوز المعرفة، ط1، 1436هـ/2015، ص. 108.

(9) ابن قيم الجوزية، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تحقيق، محمد بن عبد الرحمن العريفي وآخرين، دار عالم الفوائد، مكة، ط1، 1428هـ، ص 16.

(10) القاضي عياض، الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، تحقيق عبده علي كوشك، سلسلة دراسات السيرة النبوية، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ/2013، رقم الحديث 270، ص. 341.

(11) الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق، السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، ط2، 1407هـ/ 1987، ص-ص. 41-55.

(12) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، مادة (مثل).

(13) الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، 1374هـ/ 1955، ج.1، ص.5.

(14) ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص-ص. 173-174.

(15) رشيد رضى، تفسير القرآن الحكيم، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ/1947، ج.1، ص. 236.

(16) محمد بازي، البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 1436هـ/2015، ص. 109.

(17) عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق، ط2، 1412هـ/1992، ص. 59.

(18) مجمع الأمثال، ج.1، ص.6.

(19) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص. 60.

(20) حازم القرطاجني، منهاج البغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن

الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981، ص. 45.

(21) الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، ص-ص. 96-99.

(22) السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص.256.

(23) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق وائل أحمد عبد الرحمن، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د.ت)، ج.1، ص.300.

(24) البرهان، 519/3.

(25) الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982، 166/5.

(26) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر ، (د.ت)، 51/5.

(27) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مادة قبل.

(28) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق مراد كامل، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1424هـ/2003م، 263/6.

(29) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، 1392هـ، ص 712.

(30) الخليل بن أحمد، كتاب العين، 168/5.

(31) ابن المعتز، البديع، تح كراتشقوفسكي، دار المسيرة، ط3، 1402هـ/1982م، ص 36.

(32) أبو هلا العسكري، كتاب الصناعتين، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م، ص 339.

(33) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط4، 1372هـ، 15/2.

(34) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1981، ص45.

(35) يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، (د.ت)، ج2، ص-ص، 377-378.

(36) ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق لعلوم القرآن وعلم البيان، (كتاب منسوب إليه نسبة فيها شك)، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ، بيروت، ص 216 وما بعدها.

(37) نفسه، ص. 223، وقد وجدنا أن هذه العبارة، كما ذكر بازي، أوردها الزركشي في كتابه البرهان.

(38)البرهان في علوم القرآن، 911/3.

(39) نفسه، 911/3.

(40) نفسه، 911/3.

(41) البقرة، جزء من الآية 255.

(42) الكهف، جزء من الآية 18.

(43) الجن: الآية 10.

(44) هود: جزء من الآية 24.

(45) بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن، 916/3.

(46) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2008، 226/3.

(47) نفسه، 226/3.

(48) ذكرنا ذلك في معرض الحديث عن التقابل عند البلاغيين.

(49) آل عمران: الآية 14.

(50) آل عمران: الآية 15.

(51) نشير هنا إلى أن هذا الأمر لافت للانتباه، فكثير من الأمور التي ذكرها الزركشي، نقلها عنه السيوطي دون الإشارة إليه، فهل يتعلق الأمر بوقوع الحافر على الحافر، أم أن هؤلاء العلماء كانت لهم نظرة خاصة في الأخذ عن بعضهم؟ نعتقد أن هذه القضية حرية بأن تكون موضوعا للبحث.

(52) محمد بازي، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 1431هـ/2010م، ص15.

(53) نفسه، ص 14.

(54) هذا الكتاب صادر عن منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، ودار الأمان بالرباط، في طبعته الأولى، بتاريخ 1434هـ/2013م.

(55) بازي، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، مذكور، ص 9.

(56) نفسه.

(57) البخاري، باب المسك (7/ 96)، رقم: (5534)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء (4/ 2026)، رقم: (2628).

(58) التوبة، الآية 119.

(59) الكهف، الآية 28.

(60) النجم، الآيتان، 3و4.

(61) الحشر، الآية 7.

(62) الحشر، جزء من الآية 21.

(63) الماوردي، أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، بيروت، ط1، 1434هـ، 2013، ص. 460.

(64) محمد بازي، نظرية التأويل التقابلي مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف ودار الأمان، ط1، 1434هـ/ 2013، ص. 246.

(65) النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي)، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ط1، 1349هـ/1930، ج.16، ص. 178.

(66) رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح

(67) الزمر، جزء من الآية 73.

(68) الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبياني والبديع، وضح حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003، ص. 268.

(69) آل عمران، الآية 106.

(70) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق حمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط5، 2009، مج.1، ص. 79.

(71) حازم القرطاجني، نفسه، ص. 45.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

بازي محمد، البنى التقابلية خرائط جديدة لتحليل الخطاب، كنوز المعرفة، ط1، 1436هـ/2015.

بازي محمد، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 1431هـ/2010م.

بازي محمد، نظرية التأويل التقابلي مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف ودار الأمان، ط1، 1434هـ/ 2013.

الترمذي أبو عيسى محمد، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق، السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت، ط2، 1407هـ/ 1987.

الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، المكتبة التوفيقية، (د.ت).

الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين، تح مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.

رشيد رضى، تفسير القرآن الحكيم، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ/1947.

ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط4، 1372هـ.

الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق وائل أحمد عبد الرحمن، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د.ت).

الزمخشري جار الله ابو القاسم، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق حمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط5، 2009.

السكاكي يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2008.

العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م.

العلوي يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، (د.ت).

عياض القاضي، الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، تحقيق عبده علي كوشك، سلسلة دراسات السيرة النبوية، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ/2013.

ابن فارس أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر ، (د.ت).

القرطاجني حازم، منهاج البغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981.

القزويني الخطيب،الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبياني والبديع، وضح حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003.

ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1981.

ابن قيم الجوزية شمس الدين، الفوائد المشوق لعلوم القرآن وعلم البيان، (كتاب منسوب إليه نسبة فيها شك)، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ.

ابن قيم الجوزية، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تحقيق، محمد بن عبد الرحمن العريفي وآخرين، دار عالم الفوائد، مكة، ط1، 1428هـ.

الماوردي أبو الحسن علي، أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، بيروت، ط1، 1434هـ، 2013.

مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1412هـ/1991.

ابن المعتز عبد الله، البديع، تح كراتشقوفسكي، دار المسيرة، ط3، 1402هـ/1982م.

ابن منظور جمال الدين محمد، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، 1374هـ/ 1955.

الميداني عبد الرحمن حسن جنبكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق، ط2، 1412هـ/1992.

النووي يحيى بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي)، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ط1، 1349هـ/1930.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

المؤلف ميلود عرنيبة، (2020)، البنى التقابلية مدخل جديد لتدارس خطاب المثل النبوي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد12، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص.ص: 146-158